

الفصل في الملل والأهواء والنحل

ﻭﺍﻧﻲ ﻟﺴﺖ ﻛﻬﻴﺌﺘﻜﻢ ﻭﺍﻧﻲ ﻟﺴﺖ ﻣﺜﻠﻜﻢ ﻓﺈﺫ ﻗﺪ ﺻﺢ ﺑﺎﻟﻨﺼﺌﻰ ﺃﻥ ﻓﻲ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻣﻦ ﻟﻢ ﻳﺠﺘﺮﺥ ﺍﻟﺴﻴﺌﺔ ﻭﺃﻥ ﻣﻦ ﺍﺟﺘﺮﺥ ﺍﻟﺴﻴﺌﺎﺕ ﻻ ﻳﺴﺎﻭﻳﻬﻢ ﻋﻨﺪ ﺍﻟﻠﻪ ﻓﺎﻟﺄﻧﺒﻴﺎﺀ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﺍﺣﻖ ﺑﻬﺬﻩ ﺍﻟﺪﺭﺟﺔ ﻭﺑﻜﻞ ﻓﻀﻴﻠﺔ ﺑﻼ ﺧﻼﻑ ﻣﻦ ﺍﺣﺪ ﻣﻦ ﺍﻫﻞ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﺑﻘﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﻭﺍﻟﻠﻪ ﻳﺼﻄﻔﻲ ﻣﻦ ﺍﻟﻤﻼﺋﻜﺔ ﺭﺳﻼ ﻭﻣﻦ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻓﺄﺧﺒﺮ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺃﻥ ﺍﻟﺮﺳﻞ ﺻﻔﻮﺗﻪ ﻣﻦ ﺧﻠﻘﻪ ﻭﻗﺪ ﺍﻋﺘﺮﺽ ﻋﻠﻴﻨﺎ ﺑﻌﺾ ﺍﻟﻤﺨﺎﻟﻔﻴﻦ ﺑﺄﻥ ﻗﺎﻝ ﻓﻤﺎ ﺗﻘﻮﻝ ﻓﻴﻤﻦ ﺑﻠﻎ ﻓﺄﻣﻦ ﻭﺫﻛﺮ ﺍﻟﻠﻪ ﻣﺮﺍﺕ ﻭﻣﺎﺕ ﺃﺛﺮ ﺫﻟﻚ ﺃﻭ ﻓﻲ ﻛﺎﻓﺮ ﺃﺳﻠﻢ ﻭﻗﺎﺗﻞ ﻣﺠﺎﻫﺪﺍ ﻭﻗﺘﻞ ﻓﺠﻮﺍﺑﻨﺎ ﻭﺑﺎﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺍﻟﺘﻮﻓﻴﻖ ﺃﻥ ﻧﻘﻮﻝ ﺃﻣﺎ ﻣﻦ ﻛﺎﻥ ﻛﺎﻓﺮﺍ ﺛﻢ ﺃﺳﻠﻢ ﻓﻘﺪ ﺍﺟﺘﺮﺥ ﻣﻦ ﺍﻟﺴﻴﺌﺎﺕ ﺑﻜﻔﺮﻩ ﻣﺎ ﻫﻮ ﺃﻋﻈﻢ ﻣﻦ ﺍﻟﺴﻤﺎﻭﺍﺕ ﻭﺍﻟﺄﺭﺽ ﻭﺇﻥ ﻛﺎﻥ ﻗﺪ ﻏﻔﺮ ﻟﻪ ﺑﺈﻳﻤﺎﻧﻪ ﻭﻟﻜﻦ ﻗﺪ ﺣﺼﻞ ﺑﻼ ﺷﻚ ﻣﻦ ﺟﻤﻠﺔ ﻣﻦ ﻗﺪ ﺍﺟﺘﺮﺥ ﺍﻟﺴﻴﺌﺎﺕ ﻭﺃﻣﺎ ﻣﻦ ﺑﻠﻎ ﻓﺄﻣﻦ ﻭﺫﻛﺮ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺛﻢ ﻣﺎﺕ ﻓﻘﺪ ﻛﺎﻥ ﻫﺬﺍ ﻣﻤﻜﻨﺎ ﻓﻲ ﻃﺒﻴﻌﺔ ﺍﻟﻌﺎﻟﻢ ﻭﻓﻲ ﺑﻨﻴﺘﻪ ﻟﻮﻻ ﻗﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺃﻡ ﺣﺴﺐ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺍﺟﺘﺮﺣﻮﺍ ﺍﻟﺴﻴﺌﺎﺕ ﺃﻥ ﻧﺠﻌﻠﻬﻢ ﻛﺎﻟﺬﻳﻦ ﺃﻣﻨﻮﺍ ﻭﻋﻤﻠﻮﺍ ﺍﻟﺼﺎﻟﺤﺎﺕ ﺳﻮﺍ ﻣﺤﻴﺎﻫﻢ ﻭﻣﻤﺎﺗﻬﻢ ﺳﺂ ﻣﺎ ﻳﺤﻜﻤﻮﻥ ﻓﺎﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻗﻄﻊ ﻗﻄﻌﺎ ﻻ ﻳﺮﺩﻩ ﺇﻻ ﻛﺎﻓﺮ ﺑﺄﻧﻪ ﻻ ﻳﺠﻌﻞ ﻣﻦ ﺍﺟﺘﺮﺥ ﺍﻟﺴﻴﺌﺎﺕ ﻛﻤﻦ ﻟﻢ ﻳﺠﺘﺮﺣﻬﺎ ﻭﻧﺤﻦ ﻧﻮﻗﻦ ﺃﻥ ﺍﻟﺼﺤﺎﺑﺔ ﺑﻬﻢ ﻭﻫﻢ ﺃﻓﻀﻞ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﺑﻌﺪ ﺍﻟﺄﻧﺒﻴﺎﺀ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﻟﻴﺲ ﻣﻨﻬﻢ ﺍﺣﺪ ﺇﻻ ﻭﻗﺪ ﺍﺟﺘﺮﺥ ﺳﻴﺌﺔ ﻓﻜﺎﻥ ﻳﻠﺰﻡ ﻋﻠﻰ ﻫﺬﺍ ﺃﻥ ﻳﻜﻮﻥ ﻣﻦ ﺃﺳﻠﻢ ﺃﺛﺮ ﺑﻠﻮﻏﻪ ﻭﻣﺎﺕ ﺃﻓﻀﻞ ﻣﻦ ﺍﻟﺼﺤﺎﺑﺔ ﺑﻬﻢ ﻭﻫﺬﺍ ﺧﻼﻑ ﻗﻮﻝ ﺍﻟﻨﺒﻲ ﺍﻟﻠﻪ ﺃﻧﻪ ﻟﻮ ﻛﺎﻥ ﻻﺣﺪﻧﺎ ﻣﺜﻞ ﺍﺣﺪ ﺯﻫﺒﺎ ﻓﺎﻧﻔﻘﻪ ﻟﻢ ﻳﺒﻠﻎ ﻣﺪ ﺍﺣﺪﻫﻢ ﻭﻻ ﻧﺼﻴﻔﻪ ﻓﺈﺫﺍ ﻫﺬﺍ ﻛﻤﺎ ﻗﻠﻨﺎ ﻓﻘﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﻭﻗﻮﻝ ﺭﺳﻮﻟﻪ ﺍﻟﻠﻪ ﺍﺣﻖ ﺑﺎﻟﺘﺼﺪﻳﻖ ﻻ ﺳﻴﻤﺎ ﻣﻊ ﻗﻮﻟﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﻣﺎ ﻣﻦ ﺍﺣﺪ ﺇﻻ ﺍﻟﻤﺒﺬﻧﺐ ﺃﻭ ﻛﺎﺩ ﺇﻻ ﻳﺤﻴﻰ ﺑﻦ ﺯﻛﺮﻳﺎ ﻓﻨﺤﻦ ﻧﻘﻄﻊ ﻗﻄﻌﺎ ﺑﻤﺎ ﺫﻛﺮﻧﺎ ﺃﻧﻪ ﻻ ﺳﺒﻴﻞ ﺇﻟﻰ ﺃﻥ ﻳﺒﻠﻎ ﺍﺣﺪ ﺣﺪ ﺍﻟﺘﻜﻠﻴﻒ ﺇﻻ ﻭﻻ ﺑﺪ ﻟﻪ ﻣﻦ ﺃﻥ ﻳﺠﺘﺮﺥ ﺳﻴﺌﺎﺕ ﺍﻟﻠﻪ ﺃﻋﻠﻢ ﺑﻬﺎ ﻭﺑﺎﻟﻠﻪ ﺍﻟﺘﻮﻓﻴﻖ .

ﻗﺎﻝ ﺃﺑﻮ ﻣﺤﻤﺪ ﻭﻣﻦ ﺍﻟﺒﺮﻫﺎﻥ ﻋﻠﻰ ﺃﻧﻪ ﻟﻢ ﻳﻜﻦ ﺍﻟﺒﺘﺔ ﺃﻥ ﻳﻌﺼﻲ ﻧﺒﻲ ﻗﻮﻟﻪ ﺍﻟﻠﻪ ﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﻟﻨﺒﻲ ﺃﻥ ﺗﻜﻮﻥ ﻟﻪ ﺧﺎﺋﻨﺔ ﺍﻟﺄﻋﻴﻦ ﻟﻤﺎ ﻗﺎﻝ ﻟﻪ ﺍﻟﺄﻧﺼﺎﺭﻱ ﻫﻼ ﺃﻭﻣﺎﺕ ﺇﻟﻲ ﻓﻲ ﻗﺼﺔ ﻋﺒﺪ ﺍﻟﻠﻪ ﺑﻦ ﺳﻌﺪ ﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﺳﺮﺡ ﻓﻨﻔﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﻋﻦ ﺟﻤﻴﻊ ﺍﻟﺄﻧﺒﻴﺎﺀ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﺃﻥ ﺗﻜﻮﻥ ﻟﻬﻢ ﺧﺎﺋﻨﺔ ﺍﻟﺄﻋﻴﻦ ﻭﻫﻮ ﺃﺧﻒ ﻣﺎ ﻳﻜﻮﻥ ﻣﻦ ﺍﻟﺬﻧﻮﺏ ﻭﻣﻦ ﺧﻼﻑ ﺍﻟﺒﺎﻃﻦ ﻟﻠﻄﺎﻫﺮ ﻓﺪﺧﻞ ﻓﻲ ﻫﺬﺍ ﺟﻤﻴﻊ ﺍﻟﻤﻌﺎﺻﻲ ﺳﻐﻴﺮﻫﺎ ﺃﻭ ﻛﺒﻴﺮﻫﺎ ﺳﺮﻫﺎ ﻭﺟﻬﺮﻫﺎ .

ﻗﺎﻝ ﺃﺑﻮ ﻣﺤﻤﺪ ﻭﺃﻳﻀﺎ ﻓﺈﻧﻨﺎ ﻣﻨﺪﻭﺑﻮﻥ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺒﺘﺔ ﺑﺎﻟﺄﻧﺒﻴﺎﺀ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﻭﺇﻟﻰ ﺍﻟﺒﺘﺔ ﺑﻬﻢ ﻓﻲ ﺃﻓﻌﺎﻟﻬﻢ ﻛﻠﻬﺎ ﻗﺎﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻟﻘﺪ ﻛﺎﻥ ﻟﻜﻢ ﻓﻲ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺃﺳﻮﺓ ﺣﺴﻨﺔ ﻟﻤﻦ ﻛﺎﻥ ﻳﺮﺟﻮ ﺍﻟﻠﻪ ﻭﺍﻟﻴﻮﻡ ﺍﻻﺧﺮ ﻭﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻫﺪﻯ ﺍﻟﻠﻪ ﻓﺒﻬﺪﺍﻫﻢ ﺍﻗﺘﺪﻩ ﻓﺼﺢ ﻳﻘﻴﻨﺎ ﺃﻧﻪ ﻟﻮ ﺟﺎﺯ ﺃﻥ ﻳﻘﻊ ﻣﻦ ﺍﺣﺪ ﻣﻦ ﺍﻟﺄﻧﺒﻴﺎﺀ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﺯﻧﺐ ﺗﻌﻤﺪﺍ ﺳﻐﻴﺮﺍ ﻭﻛﺒﻴﺮﺍ ﻛﺎﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﻗﺪ ﺣﻀﻨﺎ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻤﻌﺎﺻﻲ ﻭﻧﺪﺑﻨﺎ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺬﻧﻮﺏ ﻭﻫﺬﺍ ﻛﻔﺮ ﻣﺠﺮﺩ ﻣﻤﻦ ﺃﺟﺎﺯﻩ ﻓﻘﺪ ﺻﺢ ﻳﻘﻴﻨﺎ ﺃﻥ ﺟﻤﻴﻊ ﺃﻓﻌﺎﻝ ﺍﻟﺄﻧﺒﻴﺎﺀ ﺍﻟﺘﻲ

